OPEN ACCESS
Received: 09 -01 -2025
Accepted: 02- 04-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

# The Argumentative Function of Figurative Imagery in Prophetic Hadith: Models from Hadiths of Edification and Morality

**Dr. Abdulhakīm Aḥmad Sirulkhaṭm Ganī** *

Prof.gani66@gmail.com

**Abstract**

This study explores the argumentative function of rhetorical imagery in selected Prophetic hadiths on moral refinement and ethics. Focusing on simile, metaphor, and metonymy as persuasive devices, it employs a pragmatic methodology grounded in rhetorical-argumentative analysis within communicative frameworks. Organized into an introduction, two analytical sections—first on simile, then on metaphor and metonymy—and a conclusion, the research reveals how figurative imagery in the Prophetic tradition blends aesthetic appeal with persuasive force. By presenting meaning claims supported by evidence drawn from the audience's own cognitive resources, these devices guide listeners toward conviction and acceptance of the conveyed moral messages. The findings demonstrate that such imagery effectively balances enjoyment and persuasion, reinforcing the communicative power of hadith literature.

**Keywords:** Argumentation, Figurative Imagery, Prophetic Hadith, Edification and Morality, Communicative Discourse.

* Professor of Rhetoric and Literary Criticism, Department of Arabic Language, College of Arts, King Faisal University, Al-Aḥsā, Saudi Arabia; College of Education, The Koran University of Science and Rooting, Sudan.

**Cite this article as:** Ganī, A. A. S. (2025). The Argumentative Function of Figurative Imagery in Prophetic Hadith: Models from Hadiths of Edification and Morality, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(2): 89 -105. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2548

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/01/09م
تاريخ القبول: 2025/04/02م

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

# حجاجية الصورة البيانية في الحديث النبوي: نماذج من أحاديث التهذيب والأخلاق

د. عبد الحكيم أحمد سر الختم جيني*
Prof.gani66@gmail.com

**ملخص:**

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الصورة البيانية في نماذج من أحاديث التهذيب والأخلاق بغية الكشف عن طاقاتها التعبيرية ووظائفها الحجاجية، باتخاذ التشبيه والاستعارة والكناية محاور للدراسة، بوصفها وسائل إقناعية لها تأثيرها في المتلقي تحمله على الإذعان لما يطرح عليه. أما منهج الدراسة، فهو المنهج التداولي في ضوء التحليل البلاغي الحجاجي المندرج ضمن الطرائق الاتصالية المؤسسة لبنية الواقع. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة متضمنة النتائج. جاء المبحث الأول بعنوان: حجاجية الصورة التشبيهية، أما الثاني فهو بعنوان حجاجية الصورة الاستعارية والصورة الكنائية. وقد توصل البحث إلى نتائج أهمها: أن الصورة البيانية في الحديث النبوي جمعت بين الإمتاع والإقناع فأدت وظيفة حجاجية ارتكزت على إثبات معنى مدّعى بواسطة بينة مستمدة من مخزون المخاطبين الحجاجي فدفعت بهم نحو الاقتناع وحملتهم على التسليم بما يعرض عليهم.

**الكلمات المفتاحية:** الحجاج، الصورة البيانية، الأحاديث النبوية، التهذيب والأخلاق، الخطاب التواصلي.

* أستاذ البلاغة والنقد الأدبي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل (الأحساء)، المملكة العربية السعودية. وكلية التربية، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، السودان.

**للاقتباس:** جيني، ع. أ. س. (2025). حجاجية الصورة البيانية في الحديث النبوي: نماذج من أحاديث التهذيب والأخلاق، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(2): 89-105. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2548

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

**مقدمة:**

اشتمل حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- على وسائل متعددة من تشبيهات، واستعارات، وكنايات، وغيرها من الأساليب؛ لتغيير سلوك الإنسان وتوجيهه توجيهًا عقديًا وتربويًا وأخلاقيًا، في سياق خاص يموج بمعان ودلالات تحمل في طياتها التأثير؛ لتخلق انفعالًا لدى المخاطبين ومشاركته معهم بغية توجيههم وإقناعهم بما يصلح شأنهم، متخذًا بعض الآليات الحجاجية المختلفة وسيلة لذلك، باذلًا جهده لتحقيق الهدف، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [سورة الكهف: 6]. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ [سورة فاطر: 8].

وتأتي أهمية البحث من كونه قراءة لأحاديث التهذيب والأخلاق، قراءة تظهر الوظيفة الحجاجية للصورة البيانية التي ترتكز على "الاستدلال بمعنى على معنى، وإثبات معنى مدّعى بواسطة معنى هو منه بمثابة البيّنة، وذلك في سياق بياني خاص يموج بمعان ودلالات لها في النفس أثر يشكل انفعالًا لدى المتلقي" (صولة، 2007، ص 548).

فالصوة البيانية طريقة من طرق التعبير، وهي "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها" (القط، 1987، ص 438).

وهي "الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني، فيكون لها أيضًا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليه" (القرطاجني، 1986: 4/1).

إن وظيفة الصورة البيانية لا تنحصر في توضيح المعنى أو تحققه فحسب، وإنما تتجاوز ذلك إلى خلق دلالات غنية بالإيحاءات التي لا يمكن أن يفي بها التعبير الحقيقي أو المباشر فتحدث أثرًا واستجابة في نفوس متلقيها (حفان، 2011، ص 242)، مخاطبة الوجدان، مؤثرة فيه، وهي بذلك تضطلع بطاقات حجاجية تشحذ ذهن المتلقي وتلهب تفكيره، وتدعوه إلى البحث في العلاقات التصويرية القائمة داخل البنية التي تؤدي دورًا حجاجيًا غايته التأثير والإقناع في المخاطبين بما يطرح عليهم من أفكار تسهم في إصلاح أحوالهم، وتغيير سلوكهم.

أما الدراسات السابقة، فلم يجد الباحث -حسب اطلاعه- دراسة بعنوان حجاجية الصورة البيانية في الحديث النبوي "نماذج من أحاديث التهذيب والأخلاق" تناولت النماذج التي تناولها هذا البحث، ولكن توجد بعض الدراسات التي تناولت نماذج أخرى من الأحاديث النبوية حجاجيًا في بعض صور التشبيه، والاستعارة، والكناية. ويأتي الاختلاف بين هذا البحث وبين الدراسات السابقة في عينة النماذج المختارة، وفي طريقة العرض والتحليل الحجاجي.

فمن هذه الدراسات:

-الحجاج البلاغي في نماذج من الحديث النبوي الشريف، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر- إعداد الطالبين مصطفاوي جلال، ونسرين سي علي - جامعة عين تموشنت بلحاج بو شعيب.

-البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، وهي دراسة لنيل درجة العلوم في اللغويات جامعة الإخوة منتوري.

-القيم الحجاجية للصورة التشبيهية في الخطاب القرآني، صورة الدنيا أنموذجًا –بلقاسم محمد حمام– مجلة العلوم العربية.

-الخصائص الجمالية في الحديث النبوي الشريف -مليكة حفان- الرابطة المحمدية للعلماء.

-حجاجية الصورة الفنية في الحديث النبوي، حورية عميروش، جامعة الجزائر.

-حجاجية التشبيه في الحديث النبوي، حورية عميروش - جامعة الجزائر.

-حجاجية الاستعارة في الحديث النبوي الشريف، صحيح مسلم بشرح النووي نماذج مختارة - نوال صحراوي، جامعة ابن خلدون.

-إستراتيجية الكناية في الخطاب النبوي، مقاربة بلاغية حجاجية – كتابا الجامع الصحيح والأدب المفرد للإمام البخاري – حمد الله عبد الحكيم محمد، وشوزان نشأت -جامعة جنوب الوادي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة متضمنة النتائج. فجاء المبحث الأول بعنوان: حجاجية الصورة التشبيهية، أما الثاني فهو بعنوان حجاجية الصورة الاستعارية والصورة الكنائية.

**المبحث الأول: حجاجية الصورة التشبيهية**

الصورة التشبيهية "عنصر رئيس من عناصر الصورة البيانية، وهي لون من ألوان التعبير، تعمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليها، سواء في ذلك العرب والعجم، والخاصة والعامة، وهي من الصور البيانية التي لا تختص بجنس ولا لغة؛ لأنها من الهبات الإنسانية والخصائص الفطرية، والتراث المشاع بين الأنواع البشرية جميعا" (الجندي، 1952: 43/1).

تقوم وظيفة الصورة التشبيهية على تصوير المعاني وتقديمها تقديمًا محسوسًا، عن طريق ربط الصور الحسية بأخرى أشد منها تمكنًا في الصفات الحسية، وهذا ما يجعله قريبًا من مجال الإدراك الإنساني، ويجعله أكثر قدرة على التأثير والإقناع، ذلك أنّ كيفية تقريب شيء أو معنى عن طريق المشابهة هي التي تجعله محبوبًا أو مكروهًا، مقبولًا أو مردودًا، أي أنّها تخلق حالة ذهنية خيالية من خلال الإحساس الذي يخلقه تشبيه شيء بآخر، كتقديم خيالي لعنصر عن طريق استحضار عنصر آخر، ليجد المتلقي نفسه في موقف ما تجاه شيء ما (العربي الذهبي، 2025)، فتنتقل الصورة التشبيهية من بيئتها الخارجية إلى ذهن المتلقي، فيضطلع المتلقي بالقياس والاستنباط، ومن ثم يجعل التشبيهات أدلة حجاجية برهانها أنور، وسلطانها أقهر، وبيانها أبهر (الجرجاني، 1320، ص 94؛ آل موسى، 2023)، وهي عند (برلمان) و(تيتيكا) حجاج بالمشاهدة أو بالحضور (صولة، 2007، ص 75-77؛ الجلالي، 2024).

فوظيفة التشبيه لا تقف عند توضيح المعنى وتقريبه إلى الذهن فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى الأثر الإقناعي، بتحريك الفكر للمقارنة بين المشبه والمشبه به من عالم المتلقي الذي يعيش فيه ويتفاعل مع الحجة، فيكون المشبه به حجة للمشبه ودليلًا عليه يجعل المتلقي مذعنًا لما يلقى عليه، متفاعلًا مع بنية واقعية عن طريقها يتم البحث في تشابه العلاقات، أي علاقة الشبه التي تربط أمرًا بأمر آخر، وهو من الأمور القياسية، التي أشار إليها الجرجاني في قوله:

"والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع والآذان" (الجرجاني، 1320، ص 15)، فـ"إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها،

ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفًا" (حسين، 1991، ص 78).

فالجرجاني يربط الصورة التشبيهية والخصائص الذوقية بدوافع وجدانية نفسية، حيث تتحد هذه الخصائص فتعطي أنماطًا مؤثرة في نفوس متلقيها، وبهذا يكون التشبيه "محاولة بلاغية جادة لصقل الشكل وتطوير اللفظ، مهمته تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيًا، ومن ثَمّ فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى على النحو الذي يريده المصور، فإذا أراد صورة متناهية في الجمال والأناقة شبّه الشيء بما هو أرجح منه حسنًا، وإن أراد صورة متداعية في القبح والتفاهة شبّه الشيء بما هو أردأ منه صفة" (حسين، 1991، ص 78).

إن التشبيه في الحديث النبوي وسيلة حجاجية لها دورها في الإقناع بإثارة المتلقي، وجعله يبحث في إيجاد علاقة بين المشبه والمشبه به، ليجد الجامع بينها، فيؤثر ذلك في نفسه، ويجعله مسلمًا مقتنعًا بما يلقى عليه، "فأنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو ما وُفق في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة" (صولة، 2007، ص 27؛ زيد وحسين، 2020).

فمن النماذج التشبيهية ذات البنية الحجاجية، التي استمدت طاقتها الإقناعية من المخزون الحجاجي الاجتماعي البيئي، قوله - صلى الله عليه وسلم -: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (ابن حجر العسقلاني، 1380، ح 6053)، فقد اشتمل الحديث على حجة قياسية ينطلق منها الفكر ليبحث في العلاقات المتشابهة التي تربط بين المعنى المراد التسليم به - عدم الركون إلى الدنيا وجعلها غاية - والعالم الذي يعيش فيه المخاطب ويتفاعل معه -حال الغريب وعابر السبيل- فيأتي الاقتناع بالفكرة المطروحة، نتيجة القياس بين صورتين، وبذلك تكون الصورة المشبه بها حجة ودليلًا، يجعل المتلقي، مذعنًا لما يلقى عليه، وبذلك يؤدي التشبيه وظيفته الحجاجية في الدعوة إلى التزود من الدنيا بما ينفع في الآخرة، فالدنيا قصيرة مهما طالت الإقامة فيها.

في التخطيط التالي يحقق التشبيه حجاجيته وتأثيره بانتقال الذهن من حالة (عابر السبيل) إلى (عابر الدنيا).

| مثال | مقدمة = (مقابلة + قياس) | حجة ضامنة للعبور | نتيجة |
|---|---|---|---|
| حال الإنسان في الدنيا | (كن في الدنيا) = (عابر سبيل) (قياس الفرع (كن في الدنيا) على الأصل (عابر السبيل) | عابر السبيل لا يركن إلى الممر، إنما يكون هدفه المستقر | تصوير حال الإنسان في الدنيا بحال عابر السبيل، (كل من كان على هذه الحال، فهو لا شك على غير استقرار) فعليه التزود من دار الممر إلى دار المقر |

ومثله قوله - صلى الله عليه وسلم -: "مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" (النووي، 2007، ص 71) فمدة المكث في الدنيا يسيرة، لا تزيد عن لحظات يستظل الراكب فيها تحت ظل شجرة ثم يذهب ويتركها، فهذا تشبيه حجاجي مستمد من البيئة، غايته تهذيب النفس وشَغلها بما ينفع في الآخرة وعدم ركونها إلى زخرف الدنيا.

ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: "المؤمن مرآة المؤمن" (الصباغ، 1988، ص 148)، فالحجة في هذا الحديث تقوم على ركيزتي التشبيه والإيجاز، فالمؤمن يشبه في علاقته بأخيه المؤمن بالمرآة التي من خلالها تنكشف العيوب وتظهر المحاسن،

وكذلك المؤمن يكشف لأخيه ما به من محاسن ومساوئ، ويصدق أخاه النصيحة دون فضيحة، ويريه مواقع رشده ويطلعه على خفايا عيبه، فيكون له كالمرآة، ينظر فيها محاسنه فيستحسنها ويزداد منها، ويرى مساوئه فيستقبحها وينصرف عنها (الرضي، 2007، ص 71)، في ذلك تشبيه حجاجي له دلالاته الواضحة، وأهدافه السامية، وطاقته الحجاجية، فالمسلم يعمل عمل المرآة لصاحبها، إذ تريه محاسنه ومساوئه بلطف، فلا يطلع عليها إلا هو، وكذا المسلم ينبغي عليه أن يبين لأخيه المسلم مساوئه بأسلوب حسن بعيد عن التشهير والإحراج (الرضي، 2007، ص 71). والجمع بين المؤمن والمرآة مما يدركه ويميزه العقل، وعليه تجري عملية اشتغال القياس الحجاجي كما يلي:

| المثال | مقدمة = (مقابلة + قياس) | الحجة الضامنة للعبور | النتيجة |
|---|---|---|---|
| المؤمن مرآة أخيه المؤمن | (المؤمن لأخيه المؤمن) = (مرآة) (قياس الفرع (المؤمن يُري أخاه المؤمن عيوبه) على الأصل (المرآة تظهر للناظر ما به فيصلحه) | ينظر المرء في المرآة فتريه عيبه ليصلحه دون إيذاء أو تشهير، وكذا المؤمن يصلح حال أخيه، سرًا وبالتي هي أحسن دون أن يراهما أحد. | توضيح لما ينبغي أن تكون عليه أخلاق المؤمن مع أخيه المؤمن، وقياس ذلك على المرآة بوصفها أداة تظهر العيوب دون أن يطلع على ذلك أحد غير الرائي. |

ومن صور التشبيه ذي البعد الحجاجي أيضًا، إخباره - صلى الله عليه وسلم - عن طائفة من أصحابه ترغيبًا في الطاعات ومكارم الأخلاق، إذ يقول: "يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر" (النووي، 1392: 88/3 ح267) فقد شبه -صلى الله عليه وسلم- السبعين ألفًا من أمته الذين يدخلون الجنة ووجوههم مستنيرة من الإيمان بوصف القمر ليلة البدر، والمشبه والمشبه به هنا حسيان، مدركان بإحدى الحواس الخمس (مطلوب، 1986: 199/1). والمخطط التالي يوضح المسار الحجاجي للصورة التشبيهية:

| الوظيفة الحجاجية | غير المعلوم عند المخاطبين | المعلوم عند المخاطبين |
|---|---|---|
| الترغيب في الطاعات | مقدار إضاءة الوجوه في الجنة بفعل الطاعات | إضاءة القمر ليلة البدر |

ومن الصور التشبيهية ذات البعد الحجاجي المستمد من البيئة، تشبيه أعضاء العصاة أو الكفرة يوم القيامة، إذ يقول - صلى الله عليه وسلم-: "ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث، وما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع" (النووي، 1392: 186/17، ح 5091)، وفي رواية أخرى: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحد، وعرض جلده سبعون ذراعًا، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة" (الألباني، 1988: 3/ 5/4، ح 7337).

إن في ذلك طاقة حجاجية كامنة، وتصوير في غاية القبح والشناعة، يربط الصورة الحسية بأخرى أشد منها تمكنًا في الصفات الحسية، تصوير مستمد من المجال الإدراكي الإنساني، وبذلك يكون تأثيره أكبر، والإقناع به أشد وأبهر، يجعل

المشبه مكروهًا، ليتخذ المخاطب موقفًا تجاه الأمر المعني، وذلك بانتقال الصورة من بيئتها الخارجية إلى ذهنه، وهذا ما يزيد العذاب قبحًا وشناعة، ويزيد المتلقي إقناعًا وتسليمًا، يجعله يبحث فيما يباعد بينه وبين تلك الحالة المصورة.

وفي المخطط التالي توضيح للمسار الحجاجي للصورة التشبيهية:

| الوظيفة الحجاجية | غير المعلوم عند المخاطبين | المعلوم عند المخاطبين |
|---|---|---|
| اتخاذ المخاطب موقفًا من الكفر وما يترتب عليه. | صورة أعضاء الكفار يوم القيامة (ضرسه، غلظ جلده، ما بين مكبيه، عضده، فخذه، مقعده في النار) | جبل أحد، مقدار المسير، الذراع، ورقان، الربذة. (مستمدة من بيئة المخاطبين، ويعلمونها جيدًا) |

ومن التشبيهات القائمة على حجة المقارنة، صورة المؤمن، مقارنة بينه وبين الكافر، في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد"(النووي، 1392: 151/17، ح 5024)، وفي رواية أخرى: "مثل المؤمن، كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء. ومثل الفاجر كالأرزة صمًا معتلة حتى يقصمها الله تعالى إذا شاء" (ابن حجر العسقلاني، 1380، ح 372). وعنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "مثل المؤمن كمثل الخامة تفيئها الريح، تصرعها وتعدلها أخرى حتى تهيج، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة على أصلها لا يفيؤها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة" (ابن حجر العسقلاني، 1380، ح 5211).

فتلك صورة حجاجية، قائمة على القياس والمقارنة بين المؤمن في قوته وعزيمته، وخامة الزرع تنتابها الرياح لكنها صامدة، تنحني للرياح حينًا وتعتدل أحيانًا. أما الكافر فشبه بالأرزة، فهي ضعيفة رخوة، إذا أتتها الرياح اجتثتها من أصلها مرة واحدة، فالمشبه به موجود في بيئة المخاطب، يشاهده ويتفاعل معه، وبذلك تنتقل الصورة التشبيهية من بيئتها الخارجية إلى ذهنه، فيقيس ويستنبط، فيأتي الإقناع نتيجة الحجة القياسية المشاهدة.

والهدف من هذه الحجة هو تسلية المؤمن وتطييب خاطره، وجبر كسره، فهو كثير الآلام في بدنه، وأهله، وماله، وذلك مكفر سيئاته، رافع درجاته، إنه أصيل لا تغيره الأحداث ولا تعصف به الشدائد، فعليه أن يصبر لما يصيبه من بأساء وضراء، يتمسك بأخلاقه الفاضلة وقيمه النبيلة، فـ"الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" (النووي، 1392: 93/18، ح 5256)، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة البقرة: 214]. وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: 2]. أما الكافر فهو غير ذلك، قليل الألم، وإن وقع به شيء منه لم يُكفِّر شيئًا من سيئاته.

| ما يراد التسليم به | المسلم به لدى المخاطبين | الوظيفة الحجاجية |
|---|---|---|
| - كون المؤمن في قوته وعزيمته، فهو كثير الآلام في بدنه وأهله وماله، وذلك مكفر لسيئاته، رافع لدرجاته.<br>-الكافر يملى له في دنياه ولم يأته ما يكفر من سيئاته. | -خامة الزرع تنتابها الرياح وهي صامدة، تنحني للرياح حينًا وتعتدل أحيانًا<br>- الأرزة في ضعفها، فهي رخوة، تأتيها الرياح مرة واحدة فتقتلعها | بناء غير المسلّم به على المسلّم به، للترغيب والحث على الصبر عند الابتلاء، والتمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة. |

ومنها الثناء على المؤمن، وحثه على التمسك بما هو عليه من قيم وأخلاق فاضلة، الذي جاء في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "مثَل المؤمن مثَل النحلة إن أكلت أكلت طيبًا، وإن وضعت وضعت طيبًا، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره" (الألباني، 1988: 200/5، ح 10785). ففي هذا تشبيه للمؤمن بالنحلة، فوجه الشبه بينهما تحري الطيب من الأكل، وتقديم النفع دون إيذاء، فتلك صورة تشبيهية حجاجية، إنها صورة النحلة وهي تتنقل بين الحقول، تختار من كل حقل زهرة، تأخذ من رحيقها في خفة ورشاقة فتصنعه عسلًا ينتفع الناس به. وصورة المؤمن في تعامله، لا يأكل إلا حلالًا، ولا يسمع منه إلا خيرًا، ولا يُسمع منه إلا خير، يقدم للناس الخير دون منٍّ أو أذى، ينصح دون أن يجرح.

فهذه حجة تشبيهية، تصور المؤمن في تعامله، بصور أخرى يدركها (صورة النحلة تتنقل بين الأزهار) فتخلق حالة ذهنية أكثر قدرة على التأثير والإقناع، وتجعل المعنى المطروح محبوبًا، وذلك من خلال الإحساس الذي يأتي من انتقال الصورة التشبيهية من بيئتها الخارجية إلى الذهن، وبذلك تزيد من درجة تمسك المؤمن بما هو عليه من القيم الفاضلة.

تشبيه + ضامن من عالم المخاطبين = نتيجة

| تشبيه | ضامن من عالم المخاطبين وبيئتهم | نتيجة |
|---|---|---|
| المؤمن في تهذيبه وتعامله بما يمتلك من قيم وأخلاق | صورة النحلة في رشاقتها وتنقلها بين الأزهار، تتخير أفضلها، تأخذ من رحيقها في خفة ورشاقة فتصنعه عسلًا ينتفع الناس به | ترغيب المؤمن في الاستمرار بما هو عليه من أخلاق وقيم فاضلة، يتحرى الحلال من الأكل، يقدم النفع للناس دون إيذاء |

ومنها كذلك، قوله - صلى الله عليه وسلم -: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك؛ إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة"(النووي، 1392: 178/16، ح 4762)، فذلك تشبيه قائم على حجة المقارنة، يقارن فيه بين الجليس الصالح وجليس السوء، فالجليس الصالح حامل للمسك، وجليس السوء نافخ للكير، الأول إما أن يعطيك عطرًا بلا مقابل، أو أن تشتري منه بمالك، أو تشتم من عطره فترتاح نفسك؛ أما الثاني فنافخ للكير، فتتطاير النار من نفخه فيحرق ثيابك، أو تجد منه ما يؤذيك (الرضي، 2007، ص 91).

| المثال | مقدمة = (مقابلة + قياس) | الحجة الضامنة للعبور | النتيجة |
|---|---|---|---|
| | (الجليس الصالح = حامل المسك)<br>(الجليس السوء = نافخ الكير)<br>قياس المعنوي غير المعلوم (الفائدة المرجوة من مجالسة الصالحين + الضرر الناتج عن مجالسة السيئين) على المادي المعلوم (حامل المسك، تشتري منه بمالك وتفوح منه روائح طيبة + نافخ الكير تفوح منه روائح كريهة ويتطاير منه الشرر) | صورة مشاهدة من بيئة المخاطبين، صورة حامل المسك يتحلق حوله الناس، وصورة نافخ الكير يجلس الناس منه بحذر. | ترغيب في مجالسة الصالحين، فمجالستهم تهذيب للأخلاق واكتساب للقيم الفاضلة. وتحذير من مجالسة أهل السوء. |

ومنه تشبه الناس بالمعادن، رغبة في تغليب الباطن على الظاهر، واستخراج الدفائن، وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "الناس معادن، كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" (النووي، 1392: ح 3203)، شبه الناس بالمعادن في أصول أخلاقهم الطيبة والرديئة، وأصل المعدن محل مكثه، وقد تتفاوت المعادن، فالذهب أنفسها، وهو يتفاوت كذلك في الجودة والرداءة، وكذلك الفضة، وهي دون الذهب، لكنها نفيسة أيضًا، متفاوتة في نفسها. وقد اضطلع التشبيه هنا بوظيفة حجاجية مستمدة من المخزون الحجاجي البيئي، قائمة على القياس والمقارنة، تجعل المخاطب يقبل الأمر المعنوي المطروح، المراد التسليم به (تفاوت الناس في أخلاقهم الطيبة والرديئة) والصورة الحسية (تفاوت المعادن من حيث الأصل والجودة والرداءة) مستدعيًا المقارنة ببين الصورة المعنوية والصورة الحسية، فكما أن المعادن تتفاوت، فإن الناس يتفاوتون في أخلاقهم الطيبة والرديئة، فمنهم النادر النفيس، لا يُعرف إلا بالتنقيب والتفتيش، ومنهم المبتذل الرخيص، الذي يؤذي غيره، فتلك حجة نتيجتها التحذير من الاغترار بالظاهر فربما يكون زيفًا وخداعًا.

**المبحث الثاني: حجاجية الصورة الاستعارية والصورة الكنائية**

**أولًا: حجاجية الصورة الاستعارية**

الصورة الاستعارية: "اختيار معجمي، تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي اقترانًا دلاليًا، ينطوي على تعارض أو عدم انسجام منطقي، يتولد عنه مفارقة دلاليّة تثير لدى المتلقي شعورًا بالدهشة والطرافة، وتكمن علة الدهشة والطرافة فيما تحدثه المفارقة الدلاليّة من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المنطقي المتوقع" (مصلوح، 1993، ص 187)، فهي بذلك تشكل الخاصيّة الرئيسة للغة الشعريّة، كما يراها جون كوهين (jeancohen) (مصلوح، 1993).

تظهر الطاقة الحجاجية للصورة الاستعارية في التحول الفكري والعاطفي لدى المتلقي، ومن ثم يشارك المخاطِب في مطلبه، وكلما كان الأمر غريبًا غير متوقع، اهتمت به النفس، وانشغل به الذهن، وأُعمل فيه العقل، واتسع الأفق، فقويت الحجة، وأتى التسليم والإذعان؛ لذلك كانت الاستعارة وسيلة حجاجية، لها وظيفة مركبة، يرتبط فيها العقل بالإحساس، وتسعى إلى إحداث قطيعة، وقلب انتظارات، ومفاجأة توقعات، وإعادة النظر في نظام الخطاب بالإحساس والتفكير (علوي، 2010: 166/3).

وللاستعارة قيمة جمالية وأثر بالغ في النفس، فإنها تريك الجماد حيًا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية، والمعاني اللطيفة كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون (الجرجاني، 1321، ص 33). ومن شأنها "أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاء ازدادت الاستعارة حسنًا" (الجرجاني، 1321)، وهي ذات قيمة حجاجية، إضافة إلى قيمها الجمالية، فـ" سبيلها سبيل الكلام المحذوف، في أنك إذا رجعت إلى أصله وجدت قائله وهو يثبت أمرا عقليًا صحيحًا، ويدعي دعوى لها شبح في العقل" (الجرجاني، د.ت، ص 239). ولها خاصية نفسية انفعالية، تلازم القول الاستعاري، وهي لا تسمح بأن يشارك المتلقي مخاطبه في الفكرة أو في الدعوى التي يدعيها فحسب، بل تدفعه إلى أن يشاركه إحساسه وانفعاله، وهي فوق ذلك تستمد طاقتها الحجاجية من التصورات الثقافية المحيطة بالمجتمع؛ لذلك كثر ورودها في حديثه (صلى الله عليه وسلم).

منها ما جاء في الحث على ترك الشهوات والمعاصي، قال – صلى الله عليه وسلم -: "حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات" (النووي، 1392: 448/13، ح 2822)، فقد جمع الحديث من المعاني الجليلة ما تقف دونه ملكات البيان، معانيَ يتفاعل معها المتلقي ويذعن لمحتواها، حججًا استعارية مستمدة من بيئة الخطاب المشتركة، هدفها الحث على ترك الشهوات والمعاصي وإن مالت إليها النفوس، والحرص على الطاعات وإن كرهتها النفوس.

فقد أوضحت البنية الاستعارية في الحديث النبوي، أن الطرق المفضية إلى الجنة شاقة، وعرة المسلك، محفوفة بالمكاره والأشواك، فمن يريد الجنة عليه أن يتزود لتلك الرحلة، وخير زاد يتزود به الإنسان تقوى الله، ومقاومة شهوات النفس وهواها. وفي المقابل يبين الحديث سهولة طريق النار؛ لأن الأفعال المفضية إليها ملائمة لطباع الناس؛ لما فيها من لذائذ وشهوات وإغراءات (حفان، 2011).

وقد ازدادت الوظيفة الحجاجية في هذا الحديث قوة بتعاضدها مع الوظيفة الجمالية، فلفظ (حفت) من حفيف الأشجار - أي صوت أوراقها عندما تهزها الرياح - جاء خفيف الوقع على السمع، له عذوبته الموسيقية، وجرسه الجميل، وكذلك المعنى الذي يعبر عنه، فبمقدار هذه النعومة يكون التغلغل العميق البعيد، فالرياح لا نراها، ولكن بها تتساقط أوراق الخريف، وتتلف الزروع، وتقتلع الأشجار إذا تمادت ريحًا صرصرًا عاتية؛ لذلك جاءت بصيغة الفاعل المجهول الذي يفعل كل شيء، ولكن من وراء ستار، ونراه يبدو لغيره بما ليس فيه، نافعًا أو ضارًا، جميلًا وغير جميل، وكذلك الشهوات تدب دبيب النمل، وتسري مسرى الدم، وترتدي الثوب الجميل، وفي باطنها السم الزعاف والمكاره (بكري شيخ، 2005، ص 169، 170).

ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: " لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا " (النووي، 1392: 141/7).

فقوله -صلى الله عليه وسلم- (زهرة الدنيا) استعارة حجاجية، استعيرت الزهرة لبهرج الدنيا وما فيها من متاع، والجامع بينهما الزينة والبهجة ثم سرعة الانتهاء، فكلاهما سريع الفناء والذبول. وقد أدت الاستعارة وظيفتها الحجاجية المتمثلة في تهذيب الأنفس بتحذيرها من الاغترار بالدنيا، من كونها مستمدة من بيئة المخاطبين الزراعية المشاهدة، فمشهد الزينة والبهجة وهي تتحول إلى حطام من المشاهد الطبيعية العالقة بالذاكرة، المؤثرة في الوجدان، لذلك وردت في سياق التهذيب بتحذيرها وإقناعها بزوال الدنيا. وعليه يكون المسار الحجاجي للاستعارة على النحو الآتي:

استعارة (دال) + ضامن من عالم المخاطبين = مدلول (نتيجة)

| استعارة (الدال) | ضامن من عالم المخاطبين وبيئتهم | المدلول (النتيجة) |
|---|---|---|
| زهرة الدنيا | ما تدل عليه الزهرة من حسنها وجمالها وسرعة ذبولها | تهذيب الأنفس بالتحذير من الاغترار بالدنيا والمفاخرة بها |

ومن الاستعارة الحجاجية الداعية للتهذيب والتمسك بالأخلاق الفاضلة والتحذير من آفات اللسان، قوله -صلى الله عليه وسلم-: "ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم" (محمد، 1996، ح 2616)، فقوله (حصائد ألسنتهم) استعارة لعقوبة ما يأتي به الإنسان من قول محرم، فكأنه يزرع بقوله وعمله الحسنات أو السيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا حصد خيرًا، ومن زرع شرًا حصد شرًا. ومن سلَّط لسانه في الشر كالغيبة، والنميمة، والكذب والبهتان، وغيرها فسيحصد جراء ذلك شرًا يكبه على وجهه في النار؛ لذلك جاءت الاستعارة حجة وظيفتها التهذيب والالتزام بأخلاق الإسلام، والتحذير من مخالفة ذلك.

وقد استمدت الاستعارة طاقتها الحجاجية من المجال الزراعي المدرك المتعارف عليه (الآلة تحصد الزرع) فقد شبه اللسان بالمنجل الذي يحصد الزرع، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الحصائد. وهناك استعارة أخرى في الملفوظ نفسه، استعارة تبعية تتمثل في تشبيه رمي اللسان باللفظ بحصد الزرع، بجامع القطع في كلٍّ، فخروج الكلمة من اللسان قطعٌ لها كما يقطع الزرع.

وعليه تستمد الاستعارة وظيفتها الحجاجية الإقناعية من المخزون الحجاجي بربط المدرك المألوف المشاهد، بغير المدرك الغائب عن الذهن.

| غير المدرك الغائب عن الذهن | المدرك المألوف المشاهد | النتيجة |
|---|---|---|
| الإنسان يوم القيامة يكتسب بأقواله في الدنيا الحسنات أو السيئات | الإنسان في الدنيا يحصد ما يزرع، فإن زرع طيبًا حصده، وإن زرع غير ذلك حصده أيضًا | الترهيب من إطلاق اللسان في المنهي عنه، والترغيب في تهذيب النفس بصون اللسان وحفظه. |

**ثانيًا: حجاجية الصورة الكنائية**

الصورة الكناية هي أن تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال: كنى عن الأمر بغيره، ويكني كناية، وهي مصدر من كنيت بكذا إذا تركت التصريح به (ابن منظور، 1993: 749/7). وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى. وبها يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه بجعله دليلًا عليه (الجرجاني، 1321، ص 40).

والصورة الكنائية كما وصفها الجرجاني: "طريق العلم بما يراد إثباته من حيث يكون القصد بالإثبات فيها إلى معنى ليس هو معنى اللفظ، ولكنه معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه، ويستنبط منه" (الجرجاني، 1321، ص 339).

أما فضلها، فيظهره الجاحظ إذ يقول: إن الكناية والتعريض يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف، وأن الكناية تربى إلى إفصاح (الجاحظ، 1395: 88/1).

وتأتي حجاجية الكناية، من كونها حجة على المعنى، باعتمادها على الذهن الذي يعمل على اشتغالها، يقول الجرجاني: "فإذا جعلوا للكناية مزية على التصريح، لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكني عنه، ولكن في إثباته للذي ثبت له" (الجرجاني، 1321، ص 399). وتلك المزية التي انفردت بها الكناية، أكسبتها طاقة حجاجية تلميحية، مؤثرة في الوجدان، داعية إلى الإقناع والإذعان بطريق الإثبات والتقرير.

والكناية من الطرائق التي اشتمل عليها خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم – وذلك لقيمتها الحجاجية، ودورها التربوي الاجتماعي. ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم -: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آز قترةٌ وغبرةٌ، فيقول إبراهيم :ألم أقل لك لا تعص؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين" (الصبابطي، د.ت: 37/1).

فقد جاءت الكناية هنا صورة حجاجية، معبرة عن سوء الخاتمة بـ (القترة والغبرة) وأن آزر لعدم إيمانه بما جاء به إبراهيم عليه السلام كان مصيره إلى النار، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ* ترهقها قَتَرَةٌ﴾ ]عبس: 40-42]، فإذا جاءت الصاخة كان الناس صنفين: صنف وجوههم مسفرة، وصنف وجوههم مغبرة، فالصنف الأول وجوههم مسفرة مضيئة متهللة بقيام الليل، فمن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، من آثار الوضوء، ومن طول ما اغبر في سبيل الله، والصنف الآخر، وجوههم عليها غبار، يعلوها سواد كالدخان، فإذا اجتمعت الغبرة والسواد في الوجه، كانت الصورة أشد قبحًا، وفي هذا دليل على سوء المصير الذي ينتظرهم، وعلى هذه الصورة الكنائية الحجاجية جاء وصف آزر عند لقائه إبراهيم عليه السلام. وعليه تؤدي الكناية دورها الحجاجي التربوي وفق المخطط التالي:

| الملفوظ (الكناية) | لازم المعنى | تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي | النتيجة |
|---|---|---|---|
| قترة وغبرة | سوء المصير المنتظر | آزر والد إبراهيم عيه السلام في صورة مخزية (على وجهه قترة وغبرة ينتظر سوء مصيره) لعدم إيمانه بما جاء به إبراهيم عليه السلام، إذ لم تنفعه أبوته | تحريك الفهم لدى المخاطب ليدرك العلاقة والروابط بين المعطيات، فيقتنع بأن الجنة محرمة على الكافر، وأن الله تعالى قد منع نبيه أن يشفع لأبيه بسبب الكفر فكيف الحال بمن هو أدنى من مرتبة الأبوة؟ فيقبل على فعل الطاعات ويتجنب المعاصي تحسبًا لمثل هذا الموقف. |

ومن الحجج الكنائية قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: "انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا" (الصبابطي، د.ت: 226/1)، فقوله: يباهي ملائكته، كناية عن رضى الله سبحانه وتعالى عن أهل عرفة، وقبوله صنيعهم، وإظهار فضلهم وكرامتهم وحسن طاعتهم، وقوله: (شعثًا غبرًا) كناية عن شدة التعب الناتج عن طول السفر القاصد إلى الله تبارك تعالى.

ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم -: "قال الله عز وجل: إني أنا الله، لا إله إلا أنا فاعبدوني، من جاءني منكم بشهادة لا إله إلا الله بالإخلاص دخل في حصني، ومن دخل في حصني أمن من عذابي" (الصبابطي، د.ت: 45/1)، فلفظ الحصن، كناية عن صفة الأمن، والحصن من صفاته صون من بداخله وحمايته، من دخل فيه أمن، والحصن الوارد بالحديث يمثل الوقاية من عذاب نار جهنم، وهو كالسور العظيم الذي يحصن من بداخله من هجمات الأعداء وغاراتهم، كذا من قال: لا إله إلا الله، وأي حصن آمن من كلمة لا إله إلا الله؟

ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم -: "قال الله تبارك وتعالى: عباد لي يلبسون للناس مسوك الضأن وقلوبهم أمر من الصبِر، ألسنتهم أحلى من العسل، يختلون الناس بدينهم، أبي يفترون؟ أم عليَّ يجترئون؟ فبما أقسمت لألبسنهم فتنة تذر الحليم فيها حيران" (الصبابطي، د.ت: 69/1)، جاءت الصورة هنا كنائية حجاجية، في قوله: (يلبسون للناس مسوك الضأن) وهي كناية عن صفة الزهد. وقوله: (قلوبهم أمر من الصبِر) كناية عن سوء قلوبهم، وفساد نيتهم ونفاقهم، وفيها دعوة للإقلاع عن هذه الصفات الذميمة.

ومنها ما جاء في وصف حال الدنيا يوم القيامة، في قوله - صلى الله عليه وسلم-: "يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها باديةٌ، مشوَّهٌ خلقها، تُشرف على الخلائق، فيقال تعرفون هذه؟ فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تزف في جهنم فتنادي أي رب، أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها (السيوطي، 1994؛ حسن، 1997، ص 254)، فوصف الدنيا بهذا الوصف القبيح، والكناية عنها بالعجوز الشمطاء، فيه حجة على حقارة الدنيا وقلة شأنها، ودعوة إلى عدم الركون إليها.

ومنها ما جاء في الترغيب في الصدقة، وإن كان المتصدق به قليلًا أو كثيرًا، دون احتقار، وأن اليسير من الصدقة يمكن أن يقي صاحبه من النار، قال - صلى الله عليه وسلم -: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيْمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة" (النووي، 1392: 194/5).

فتلك قضية يتعذر على المخاطبين الاقتناع بها، فقوله: شق تمرة، مع ما به من قلة لا فائدة منها للمتصدق عليه، كناية عن القلة، ووقاية من النار؛ ليتدبر المخاطبون هذا الأسلوب، ذا البعد الحجاجي الداعي إلى البذل والعطاء ولو بالقليل.

وتزداد الطاقة الحجاجية هنا فعالية، بورودها بعد الأمر: (اتقوا النار) فالكل متحفز ومتشوق لما يبعده من النار؛ لذلك كان انتباههم واستجابتهم أسرع لما ينجيهم من النار (ولو بشق تمرة) وهذا حافز يستجاب له على الفور. وعليه يكون المسار الحجاجي للكناية كما يلي:

اتقوا النار ← (صورة النار ماثلة أمام المخاطبين) فكيف يكون الاتقاء؟ سؤال ضمني إجابته حاضرة (الصدقة حجاب عن النار ) + (الحث والترغيب ← بطريق الكناية (ولو بشق تمرة) كناية عن القليل (التصدق بشق التمرة حجاب من النار) وهذا حافز للمخاطبين يجعلهم يقبلون على التنافس في الصدقات.

ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: "يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فِرْسِنَ شاة" النووي، 1392: 227/5، ح 1711)، أي لا تمنع جارة جارتها من الصدقة والهدية لقلة الموجود عندها واحتقاره، بل تنفق بما تستطيعه، وإن كان شيئًا قليلًا كظلف شاة، وهذا لا شك أفضل من العدم، تصديقًا لقوله تعالى: قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:7-8].وفي الحث على إخفاء الصدقة، قوله - صلى الله عليه وسلم -: "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه" (النووي، 1392: 111/1، ح 1712)، فقوله (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) كناية وظيفتها الحجاجية الحث على صدق النية ومجانبة الهوى، مبالغة في إخفاء الصدقة عن الناس، حتى لا تشوبها السمعة والرياء، فقد ورد في الحديث أنه سترها عن كل شيء حتى عن نفسه، فلا تعلم شماله ما تنفق يمينه، مبالغة في الإخفاء والإسرار. ومما زاد التعبير بعدًا حجاجيًا ارتباطه بالاستعارة، فالشمال واليمين يتصرفان كما الإنسان، فاليمين تخفي، والشمال لا تعلم، تشخيصًا لهما، فلو كان شماله رجلًا متيقظًا ما علمها، مبالغة في الإخفاء الدال على صدق النية.

ومنها ما جاء في التحذير من أكل أموال الناس بالباطل، ولو كان المأكول يسيرًا، إذ جاءت الكناية في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول، الله، قال: وإن قضيبًا من أراك" (النووي، 1392: 85/1، ح 196).

وفي الحض على قبول الدعوة وتلبيتها مهما كان المدعو إليه قليلًا أو كثيرًا، جاء قوله - صلى الله عليه وسلم -: "لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت (ابن حجر العسقلاني، 1380)، وقد خص - صلى الله عليه وسلم - الذراع والكراع بالذكر، وجمع بينهما إظهارًا للقيمة، ولأن الذراع كانت أحب إليه من غيرها، والكراع لا قيمة لها (ابن حجر العسقلاني، 1380: 46/8).

فالصورة الحجاجية الكنائية، في قوله (دعيت إلى كراع) - وهي قليلة القيمة - مقارنة بـ (الذراع) التي كان يحبها النبي - صلى الله عليه وسلم - وكنى بـ (الكراع) عن القليل، ورغمًا عن ذلك قبِل - صلى الله عليه وسلم - الدعوة إليها، فالأَولى أن تقبل الدعوة إلى ما هو أرفع منها، جبرًا للخواطر وتطييبًا للنفوس.

ومن حجاجية الكناية أيضًا، قوله -صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ مَثَل مَا بعَثني اللَّه بِهِ منَ الْهُدَى والْعلْمِ كَمَثَلَ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضًا فكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيبَةٌ، قبِلَتِ الْمَاءَ فأَنْبَتتِ الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاس فَشَربُوا مِنْهَا وسَقَوْا وَزَرَعَوا. وأَصَاب طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينَ اللَّه، وَنَفَعَه بمَا بعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ". فالشاهد قوله: "وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْسًا" (النووي، 1392: 445/15)، فتأتي قوة الحجة هنا من حيث إنها لم تعبر تعبيرًا صريحًا عن عزوف المتلقي عن سماع هديه -صلى الله عليه وسلم- وإنما في اعتمادها التلميح بطريقة الكناية، ذلك بإظهار حاله وقت بلوغ الرسالة، فكان لسان حاله يغني عن سؤاله، وهذا حال المتكبر الذي يعتد برأيه، دون الالتفات للرأي الآخر، مشيرًا برأسه إلى الأرض لا يرفعه، وتلك صورته لمّا بلغته الرسالة، صورة مستمدة من المخزون الحجاجي الأخلاقي المشترك بين طرفي الخطاب، يستفاد منها لغرض الإقناع، لكونها حجة واضحة لحقيقة كل رافض للهدى النبوي (رزقي، 2017، ص 148).

ومنها ما روي عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النبيّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - قُلْنَ للنبيّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ -: أَيُّنَا أَسْرَعُ بكَ لُحُوقًا؟ قالَ: أَطْوَلُكُنَّ يَدًا، فأخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّما كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ، وكَانَتْ أَسْرَعَنَا لُحُوقًا به وكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ" (ابن حجر العسقلاني، 1380: 385/3). فقد اعتمدت الطاقة الحجاجية للكناية على التصوير الحسي، بأن أخرجت المعنى المجرد (أكثركن صدقة) إلى المعنى الملموس (أطولكن يدًا) في مشهد يُرى بالعين، مشهد اليد تمتد بالصدقة، فتلك صورة تختزن في ذهن المخاطب، تحثه وتدعوه إلى المنافسة في تقديم الصدقات.

**المسار الحجاجي للصورة الكنائية**

| المعنى المجرد | المعنى الملموس | النتيجة |
|---|---|---|
| أكثركن صدقة | (أطولكن يدًا) بالتركيز على مشهد اليد وهي تمتد بالصدقات | التصوير الحسي ← انطباع الصورة في الذهن ← حث وترغيب في الصدقة واقتناع بها |

والحجة نفسها تتمثل في قوله –صلى الله عليه وسلم-: "اليد العليا خير من اليد السفلى" فهاتان صورتان، صورة المنفق، وصورة السائل، أحدهما في الأعلى، في رفعة وسمو، والآخر في الأسفل، فشتان بين الموقعين. فتلك حجج ماثلة مرئية، أظهرها الاشتغال الذهني، وزادت من فعاليتها آلية المقابلة، فوجدت طريقًا ممهدًا للإذعان. وقد جاءت الكناية الحجاجية في النماذج جميعها معلومة لا غرابة فيها، يعيها المخاطبون، ويعقلون معانيها باشتغال الفكر، وتنشيط الذهن، ومن ثم تأتي الاستجابة منقادة مذعنة للحجة.

**النتائج:**

في خاتمة البحث، يورد الباحث النتائج التالية:

1. ترتكز حجاجية الصورة البيانية على الاستدلال بمعنى على معنى، وإثبات معنى مدّعى بواسطة معنى هو منه بمثابة البيّنة، وقد استمدت طاقتها الحجاجية الإقناعية من المخزون الحجاجي الاجتماعي البيئي فأدى وظيفة حجاجية جعلت المخاطب يذعن لما يلقى عليه.
2. إن الصورة البيانية في النماذج المختارة تجمع بين الإمتاع والإقناع، فتزيد قوة استحضار المعاني لدى المخاطب ومن ثم تزيد درجة التسليم.

3. الصورة البيانية في الحديث النبوي، عملية استدلالية تقوم على الانتقال من دلالة وضعية إلى دلالة عقلية ضمن سياقات مخصصة، وهي نابعة من عالم المتلقي.
4. أدت الصورة التشبيه في النماذج المختارة، وظيفة حجاجية دورها الترغيب في الطاعات، والترهيب من المعاصي، والحث على مكارم الأخلاق الفاضلة، وذلك بتصوير المعاني وتقديمها تقديمًا محسوسًا يربط الصور الحسية بأخرى أشد منها تمكنًا في الصفات الحسية.
5. ظهرت الوظيفة الحجاجية للصورة الاستعارية في التحول الفكري والعاطفي لدى المتلقي واتساع أفقه ومشاركته المخاطِب في مطلبه، واستمدت طاقتها الحجاجية من التصورات الثقافية المحيطة بالمجتمع.
6. جاءت الصورة الكنائية حجة تلميحية مؤثرة في الوجدان، داعية إلى التهذيب ومكارم الأخلاق، واستمدت حجاجيتها من كونها حجة على المعنى، باعتمادها على الذهن في إثبات المعنى المكني عنه للذي ثبت له.

**المراجع:**

القرآن الكريم

أبو داود، س. (2009). *سنن أبي داوود* (شعيب الأرنؤوط، تحقيق؛ ط.1). دار الرسالة العالمية.

الجلالي، م. (2024). الخطابة والسياسة: مقاربة نظرية لعلاقة الحجاج بالمواطنة. *مجلة نماء، 8*(2)، 12–39. https://doi.org/10.59151/.v8i2.374

حسن، ف. (1997). *البلاغة فنونها وأفنانها* (ط.10). دار الفرقان للنشر والتوزيع.

ابن منظور، م. (1993). *لسان العرب* (ط.3)، دار صادر.

الألباني، م. ن. (1988). *صحيح الجامع الصغير وزيادته* (ط.3). المكتب الإسلامي.

الترمذي، م. (1996). *سنن الترمذي* (بشار عواد معروف، تحقيق؛ ط.1). دار الغرب الإسلامي.

الجرجاني، ع. (1902). *أسرار البلاغة* (محمد رشيد رضا، تحقيق؛ ط.1)، مطبعة الترقي.

الجرجاني، ع. (1902). *دلائل الإعجاز* (ط.1). مطبعة المنا.

الجندى، ع. (1952). *فن التشبيه* (ط.1). مكتبة نهضة مصر.

حسين، م. (1999). *أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم* (ط.1). دار المؤرخ العربي.

حفان، م. (2011). *الخصائص الجمالية في الحديث النبوي الشريف*، الرابطة المحمدية للعلماء.

رزقي، ا. (2017). *البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان* [أطروحة دكتوراه غير منشورة] جامعة الإخوة منتوري، الجزائر.

الرضي، أ. ا. (2007). *المجازات النبوية*، دار الكتب العلمية.

زيد ف. ي. م.، وحسين، أ. م. (2021). العوامل الحِجاجيّة في سورة "النّمل". *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، 1*(5)، 154–206. https://doi.org/10.53286/arts.v1i5.253

السيوطي، ج. (1994). *جامع الأحاديث*، دار الفكر.

شيخ أمين، ب. (2005). *أدب الحديث النبوي* (ط.7). دار العلم للملايين.

صولة، ع. (2007). *الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية* (ط.1). دار الفارابي.

ابن حجر العسقلاني، أ. ب. ع. (1380). *فتح الباري بشرح صحيح البخاري* (ط.1). المكتبة السلفية.

الصبابطي، ع. (د.ت). *جامع الأحاديث القدسية الصحيحة*، مكتبة علوم الحديث النبوي.
علوي، ح. (2010). *حجاجية المجاز والاستعارة*، عالم الكتب الحديث.
الجاحظ، ع. (1998). *البيان والتبيين* (عبد السلام هارون، تحقيق)، مكتبة الخانجي.
القرطاجني، ح. (1986). *مناهج البلغاء وسراج الأدباء* (ابن الخوجة، تحقيق)، دار الغرب الإسلامي.
القط، ع. (1987). *الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر*، مكتبة الشباب.
الصباغ، م. ل. (1988). *التصوير الفني في الحديث النبوي*، المكتب الإسلامي.
مصلوح، س. (1993). *في النص الأدبي: دراسة أسلوبيّة إحصائيّة* (ط.1). عين للدراسات والبحوث.
مطلوب، أ. (1986). *معجم المصطلحات البلاغية وتطورها*، (بغداد: المجمع العلمي العراقي،).
آل موسى، س. ب. م. ب. ع. (2023). مغالطات فرعون الحجاجية مع موسى عليه السلام في القصص القرآني، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *5*(1)، 1–122. https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1438
النووي، م. ي. (1392). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج* (ط.2)، دار إحياء التراث العربي.
النووي، م. ي. (2007). *رياض الصالحين* (ماهر ياسين الفحل، تحقيق؛ ط1). دار ابن كثير.

**References**

The Holy Qur'an.

Abū Dāwūd, S. (2009). Sunan Abī Dāwūd (Shuʿayb al-Arnaʾūṭ, Ed.; 1st ed.). Dār al-Risālah al-ʿĀlamiyyah.

EL JILALI, M. (2024). A Theoretical Approach to the Relationship between Argumentation and Citizenship. *Journal of Nama*, *8*(2), 12–39. https://doi.org/10.59151/.v8i2.374

Ḥasan, F. (1997). Al-Balāghah funūnihā wa-afnānuhā (10th ed.). Dār al-Furqān li-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ.

Ibn Manẓūr, M. (1993). *Lisān al-ʿArab* (3rd ed.). Dār Ṣādir.

al-Albānī, M. N. (1988). *Ṣaḥīḥ al-jāmiʿ al-ṣaghīr wa-ziyādatuh* (3rd ed.). al-Maktab al-Islāmī.

al-Tirmidhī, M. (1996). *Sunan al-Tirmidhī* (Bashshār ʿAwwād Maʿrūf, Ed.; 1st ed.). Dār al-Gharb al-Islāmī.

al-Jurjānī, ʿA. (1902). *Asrār al-balāghah* (Muḥammad Rashīd Riḍā, Ed.; 1st ed.). Maṭbaʿat al-Taraqqī.

al-Jurjānī, ʿA. (1902). *Dalāʾil al-iʿjāz* (1st ed.). Maṭbaʿat al-Manār.

al-Jundī, ʿA. (1952). *Fan al-tashbīh* (1st ed.). Maktabat Nahḍat Miṣr.

Ḥusayn, M. (1999). Uṣūl al-bayān al-ʿArabī fī ḍawʾ al-Qurʾān al-Karīm (1st ed.). Dār al-Muʾarrikh al-ʿArabī.

Ḥafān, M. (2011). *Al-khaṣāʾiṣ al-jamālīyah fī al-ḥadīth al-nabawī al-sharīf*. al-Rābiṭah al-Muḥammadiyyah li-l-ʿUlamāʾ.

Rizqī, I. (2017). *Al-bunyah al-ḥijājiyyah fī kitāb al-Luʾluʾ wa-l-Marjān fīmā ittufiqa ʿalayhi al-Shaykhān* [Unpublished doctoral dissertation]. Université Frères Mentouri, Algeria.

al-Raḍī, A. I. (2007). *Al-Majāzāt al-nabawiyyah*. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

zaid, F. yhya ., & Hussein, A. M. . (2021). The Argumentative Factors in Surat Al-Naml 'The Ants' . *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *1*(5), 154–206. https://doi.org/10.53286/arts.v1i5.253

al-Suyūṭī, J. (1994). *Jāmiʿ al-aḥādīth*. Dār al-Fikr.

Shaykh Amīn, B. (2005). *Adab al-ḥadīth al-nabawī* (7th ed.). Dār al-ʿIlm li-l-Malāyīn.

Ṣūlah, ʿA. (2007). *Al-ḥijājj fī al-Qurʾān min khilāl ahamm khaṣāʾiṣih al-aslūbiyyah* (1st ed.). Dār al-Fārābī.

Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, A. b. ʿA. (1380 AH). *Fatḥ al-Bārī bi-sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (1st ed.). al-Maktabah al-Salafiyyah.

al-Ṣabābṭī, ʿA. (n.d.). *Jāmiʿ al-aḥādīth al-qudsiyyah al-ṣaḥīḥah*. Maktabat ʿUlūm al-Ḥadīth al-Nabawī.

ʿAlawī, Ḥ. (2010). *Ḥijājjiyyat al-majāz wa-l-istʿārah*. ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth.

al-Jāḥiẓ, ʿA. (1998). *Al-Bayān wa-l-tabyīn* (ʿAbd al-Salām Hārūn, Ed.). Maktabat al-Khānijī.

al-Qarṭājannī, Ḥ. (1986). *Manāhij al-bulaghāʾ wa-sirāj al-udabāʾ* (Ibn al-Khūjah, Ed.). Dār al-Gharb al-Islāmī.

al-Qaṭṭ, ʿA. (1987). *Al-ittijāh al-wijdānī fī al-shiʿr al-ʿArabī al-muʿāṣir*. Maktabat al-Shabāb.

al-Ṣabbāgh, M. L. (1988). *Al-taṣwīr al-fannī fī al-ḥadīth al-nabawī*. al-Maktab al-Islāmī.

Maṣlūḥ, S. (1993). *Fī al-naṣṣ al-adabī: Dirāsah aslūbiyyah iḥṣāʾiyyah* (1st ed.). ʿAyn li-l-Dirāsāt wa-l-Buḥūth.

Maṭlūb, A. (1986). *Muʿjam al-muṣṭalaḥāt al-balāghiyyah wa-taṭawwurihā*. Baghdad: al-Majmaʿ al-ʿIlmī al-ʿIrāqī.

Al Mosa, S. M. A. (2023). Pharaoh's Argumentative Conversational Fallacies with Moses, peace be upon him, in Quranic Stories. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *5*(1), 1–122. https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1438

al-Nawawī, M. Y. (1972/1392 AH). *Al-Minhāj sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Ḥajjāj* (2nd ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

al-Nawawī, M. Y. (2007). *Riyāḍ al-ṣāliḥīn* (Māhir Yāsīn al-Faḥl, Ed.; 1st ed.). Dār Ibn Kathīr.